صرفند العمار (صرفند الكبرى)

صرفند العمار: قرية فلسطينية مهجّرة من قضاء الرملة

صرفند العمار، المعروفة أيضًا باسم صرفند الكبرى، قرية فلسطينية مهجّرة من قضاء الرملة، كانت تقع على بعد نحو 5 كيلومترات شمال غربي مدينة الرملة، على أرض مستوية في السهل الساحلي الأوسط، وعلى ارتفاع متوسط يبلغ نحو 50 مترًا عن سطح البحر.

البيان	المعلومة
القضاء	الرملة
المسافة من مركز القضاء	5 كم شمال غربي الرملة
متوسط الارتفاع	50 مترًا عن سطح البحر
السكان سنة 1931	1,183 نسمة
عدد المنازل سنة 1931	265 منزلًا
السكان سنة 1944/1945	1,950 نسمة – 1,910 مسلمين و40 مسيحيًا
تقدير السكان سنة 1948	نحو 2,262 نسمة – تقدير ديموغرافي لاحق وليس تعدادًا رسميًا

البيان	المعلومة
إجمالي الأراضي سنة 1945	13,267 دونمًا
الهجوم والتهجير	في 15 نيسان/أبريل 1948 أغار لغّامو الهاغاناه على القرية ونسفوا بناءً من ثلاث طبقات، فقُتل 16 شخصًا بحسب السلطات البريطانية (39 بحسب المهاجمين). والأرجح أن الكتيبة الثانية في لواء غفعاتي احتلت القرية ليل 19–20 أيار/مايو 1948 في سياق عملية براك، وأن سكانها فرّوا أو طُردوا في الوقت نفسه، بحسب الخالدي.
السيطرة الإسرائيلية النهائية	ليل 19–20 أيار/مايو 1948 على الأرجح، بحسب الخالدي
العملية العسكرية	عملية براك
الوحدة العسكرية المنفذة للهجوم أو الاحتلال	الكتيبة الثانية في لواء غفعاتي على الأرجح، بحسب الخالدي
سبب النزوح	هجوم عسكري مباشر من قوات الاحتلال الإسرائيلي؛ والأرجح أن السكان فرّوا أو طُردوا عند احتلال القرية، بحسب الخالدي
المستعمرات الموثقة على أراضي القرية	تسريفين، أُقيمت سنة 1949 على أنقاض القرية وتضم معسكرًا للجيش؛ ونير تسفي، أُقيمت سنة 1954 على أراضي القرية

بلغ عدد سكانها في إحصاءات سنة 1944/1945 نحو 1,950 نسمة، وبلغ مجموع أراضيها 13,267 دونمًا. وخلال النكبة واحتلال فلسطين سنة 1948، احتلتها القوات الإسرائيلية ليل 19–20 أيار/مايو 1948 في سياق عملية براك، ويرجح أن الكتيبة الثانية من لواء غفعاتي هي التي استولت عليها. وهُجّر سكان القرية ودُمّر معظم عمرانها.

موقع قرية صرفند العمار

- كانت تقع على بعد نحو 5 كيلومترات شمال غربي الرملة.
- بلغ متوسط ارتفاعها نحو 50 مترًا عن سطح البحر.
- قامت على أرض مستوية في السهل الساحلي الأوسط، إلى الغرب من الطريق العام بين الرملة ويافا.
- عُرفت أيضًا باسم صرفند الكبرى للتمييز بينها وبين صرفند الصغرى أو صرفند الخراب، التي كانت تقع إلى الجنوب الغربي منها.

صرفند العمار عبر التاريخ

في سنة 1596 كانت صرفند قرية تابعة لناحية الرملة في لواء غزة، وقدر عدد سكانها بنحو 358 نسمة. وكان السكان يؤدون الضرائب على القمح والشعير والسمسم والفاكهة، إلى جانب الماعز وخلايا النحل والبساتين.

وفي القرون اللاحقة ميزت المصادر بين صرفند العمار وصرفند الخراب. وقد ذكر الرحالة المصري الصوفي مصطفى أسعد اللقيمي زيارته مقامًا منسوبًا إلى لقمان الحكيم في صرفند، بينما أشار إدوارد روبنسون في القرن

التاسع عشر إلى وجود قريتين تحملان اسم صرفند، إحداهما مأهولة والأخرى خربة.

وتشير الأدلة الأثرية في الموقع إلى وجود استيطان في منطقة صرفند العمار خلال الفترتين الرومانية والبيزنطية.

صرفند العمار في عهد الانتداب البريطاني

اكتسبت صرفند العمار أهمية إضافية خلال فترة الانتداب البريطاني، إذ أنشأ البريطانيون بالقرب منها قاعدة عسكرية ضخمة وصفها وليد الخالدي بأنها أكبر قاعدة عسكرية بريطانية في الشرق الأوسط آنذاك.

كما أقامت سلطات الانتداب سجنًا في المنطقة استخدم لاحتجاز مناضلين فلسطينيين.

وكانت القرية مستطيلة الشكل، ومنازلها مبنية في معظمها بالطين، كما كان فيها مقام شعبي منسوب إلى لقمان الحكيم.

سكان صرفند العمار

بلغ عدد سكان صرفند العمار 862 نسمة في تعداد سنة 1922، وارتفع العدد إلى 1,183 نسمة في تعداد سنة 1931، حين سجل وجود 265 منزلًا.

وفي إحصاءات حكومة فلسطين لسنة 1944/1945 بلغ عدد السكان 1,950 نسمة، منهم 1,910 مسلمين و40 مسيحيًا.

أما الرقم 2,262 نسمة لسنة 1948 والرقم 13,891 لاجئًا لسنة 1998 الواردان في «فلسطين في الذاكرة» فهما تقديران لاحقان، ولا يمثلان تعدادين رسميين صادرين عن حكومة فلسطين.

سكان صرفند العمار

السنة	عدد السكان	طبيعة الرقم
1596	358	تقدير تاريخي مستند إلى السجلات العثمانية
1922	862	تعداد رسمي في عهد الانتداب البريطاني
1931	1,183	تعداد رسمي في عهد الانتداب البريطاني
1944/1945	1,950	إحصاءات حكومة فلسطين؛ 1,910 مسلمين و40 مسيحيًا
1948	2,262	تقدير أورده موقع فلسطين في الذاكرة

السنة	عدد السكان	طبيعة الرقم
1998	13,891	تقدير لعدد اللاجئين أورده موقع فلسطين في الذاكرة
يجب التمييز بين التعدادات والإحصاءات الرسمية والتقديرات اللاحقة.		

عدد المنازل في صرفند العمار

سجل تعداد سنة 1931 وجود 265 منزلًا في صرفند العمار. أما رقم 506 منازل لسنة 1948 الوارد في «فلسطين في الذاكرة» فهو تقدير لاحق وليس تعدادًا رسميًا لحكومة فلسطين.

عدد المنازل في صرفند العمار

السنة	عدد المنازل	طبيعة الرقم
1931	265	تعداد رسمي
1948	506	تقدير أورده موقع فلسطين في الذاكرة
الرقم الرسمي المؤكد لعدد المنازل هو رقم تعداد سنة 1931.		

التعليم والمرافق في صرفند العمار

كان في صرفند العمار مدرستان ابتدائيتان، إحداهما للبنين والأخرى للبنات. أُسست مدرسة البنين سنة 1921، وأصبحت مدرسة ابتدائية مكتملة في العام الدراسي 1946/1947، وبلغ عدد طلابها آنذاك 292 تلميذًا.

وأُلحق بمدرسة البنين 14 دونمًا من الأرض لاستخدامها في التدريب الزراعي.

أما مدرسة البنات فأُسست سنة 1947 وبلغ عدد طالباتها 50 تلميذة.

وكان في جوار القرية ميتم الرجاء، الذي أُنشئ لأبناء الفلسطينيين الذين استشهدوا خلال الثورة الفلسطينية الكبرى 1936–1939، إضافة إلى مستشفى حكومي ومحطة زراعية.

ملكية الأراضي في صرفند العمار

بلغ مجموع أراضي صرفند العمار في إحصاءات سنة 1944/1945 نحو 13,267 دونمًا.

ويعرض موقع «فلسطين في الذاكرة» فئات الملكية بالمصطلحات «فلسطيني»، و«تسرّبت للصهاينة»، و«مشاع»، ولذلك حُفظت هذه المصطلحات في الجدول كما وردت في المصدر. أما إحصاءات حكومة فلسطين كما يعرضها PalQuest فتستخدم التصنيفات «عرب»، و«يهود»، و«عام» للأرقام نفسها.

المجموع	13,267
فئة الملكية	**المساحة بالدونم**
فلسطيني	9,223
تسرّبت للصهاينة	761
مشاع	3,283

استخدام الأراضي في صرفند العمار سنة 1944/1945

كانت الحمضيات من أهم محاصيل صرفند العمار. وبلغت المساحة المزروعة بالحمضيات والموز 3,770 دونمًا، منها 3,509 دونمات عربية و261 دونمًا يهوديًا.

وبلغت مساحة الحبوب 7,230 دونمًا، منها 4,012 دونمًا عربية و500 دونم يهودي و2,718 دونمًا من الأراضي العامة. أما البساتين والأراضي المروية فبلغت 1,665 دونمًا عربية.

المجموع	9,223	761	3,283	13,267
نوع الاستخدام	**عرب**	**يهود**	**عام**	**المجموع**
الحمضيات والموز	3,509	261	0	3,770
البساتين والأراضي المروية	1,665	0	0	1,665
الحبوب	4,012	500	2,718	7,230
المنطقة المبنية	36	0	0	36
غير صالحة للزراعة	1	0	565	566

ويورد موقع «فلسطين في الذاكرة» أن 120 دونمًا كانت مزروعة بالزيتون. ويجب التعامل مع هذا الرقم باعتباره جزءًا من الأراضي الزراعية المصنفة ضمن الفئات السابقة، لا مساحة إضافية تُضاف مرة أخرى إلى مجموع استعمالات الأرض.

الحياة الاقتصادية في صرفند العمار

كانت الزراعة النشاط الاقتصادي الرئيسي لسكان صرفند العمار، وكانت الحمضيات والموز من أهم محاصيلها، إلى جانب الحبوب والبساتين والأشجار المثمرة والزيتون.

اعتمدت البساتين على مياه الآبار الارتوازية في الري، بينما كانت محاصيل أخرى تعتمد على مياه الأمطار. كما وفرت

الآبار الارتوازية مياه الشرب لسكان القرية.

هجمات سبقت احتلال صرفند العمار

شهدت صرفند العمار والمنطقة المحيطة بها سلسلة من الهجمات خلال الأشهر الأولى من سنة 1948.

في صباح 2 كانون الثاني/يناير 1948، اكتشف العمال العرب في قاعدة الجيش البريطاني في صرفند اثنتي عشرة عبوة موقوتة كانت معدة للانفجار ظهرًا، في الوقت الذي كان العمال يصطفون فيه للحصول على أجورهم الأسبوعية.
ونقلت صحيفة «فلسطين» أن العمال اليهود لم يحضروا إلى العمل في ذلك اليوم، واعتبرت ذلك مؤشرًا إلى أنهم تلقوا تحذيرًا مسبقًا من الجهات الصهيونية المسؤولة عن زرع العبوات.

وتوثق مصادر فلسطينية حادثة أخرى في 19 كانون الثاني/يناير 1948، حين مر أشخاص في سيارة يهودية قرب مقهى عربي في منطقة صرفند وأطلقوا النار، ما أدى إلى مقتل رجل وإصابة ستة آخرين.

غارة الهاغاناه في 15 نيسان 1948

في 15 نيسان/أبريل 1948 شنت مجموعة من لغّامي الهاغاناه غارة على صرفند العمار، وتوغلت داخل المنطقة العربية ودمرت مبنى مؤلفًا من ثلاثة طوابق.

وبحسب ما ينقله وليد الخالدي عن تقارير صحفية معاصرة، ذكرت السلطات البريطانية أن 16 شخصًا قتلوا تحت أنقاض المبنى وأصيب 12 آخرون.

أما القوة المهاجمة فزعمت أن المبنى كان يستخدمه مقاتلون تابعون للشيخ حسن سلامة، وأن عدد القتلى بلغ 39 شخصًا. وبسبب اختلاف الروايتين، يُذكر الرقمان مع مصدر كل منهما ولا يُعتمد رقم القوة المهاجمة باعتباره حصيلة مؤكدة.

قاعدة صرفند العسكرية في أيار 1948

عند انتهاء الانتداب البريطاني في منتصف أيار/مايو 1948، سُمح لقوة عربية باستلام قاعدة صرفند العسكرية، التي كانت تشغل مساحة تقارب 500 أكر.

وتنقل PalQuest، عبر وليد الخالدي، أن القاعدة سُلّمت إلى القوة العربية في 14 أيار/مايو، ثم استولت عليها القوات الصهيونية بعد نحو خمسة أيام إثر هجوم من محورين، من الشمال ومن الجنوب الشرقي.

وترد هذه التفاصيل في المصدر الفلسطيني ضمن نقله عن الرواية العسكرية الإسرائيلية والتقارير الصحفية

المعاصرة، ولا تُستخدم هنا مصادر إسرائيلية بصورة مستقلة.

عملية براك

ارتبط احتلال صرفند العمار بعملية براك، وهي عملية عسكرية صهيونية نفذها بصورة رئيسية لواء غفعاتي في منطقة جنوب وغرب الرملة خلال أيار/مايو 1948، ضمن تنفيذ خطة دالت.

بدأت المرحلة الرئيسية من عملية براك في 9 أيار/مايو، وتذكر PalQuest أن لواء غفعاتي وسّع خلالها المنطقة الواقعة تحت سيطرته غرب الرملة واللد، وأن مرحلة ثانية من الهجوم بدأت مع انسحاب القوات البريطانية بعد 15 أيار/مايو.

ولهذا يضع مدخل صرفند العمار في PalQuest احتلال القرية ليل 19–20 أيار/مايو ضمن سياق عملية براك، رغم أن الجدول الزمني للمرحلة الرئيسية من العملية يحدد الفترة من 9 إلى 13 أيار/مايو.

احتلال صرفند العمار وتهجير سكانها خلال النكبة

يرجح وليد الخالدي أن صرفند العمار احتُلت ليل 19–20 أيار/مايو 1948 على يد الكتيبة الثانية من لواء غفعاتي، في سياق عملية براك.

ويحدد موقع «فلسطين في الذاكرة» تاريخ الاحتلال في 20 أيار/مايو 1948، ويسمي الكتيبة الثانية من لواء غفعاتي بوصفها الوحدة المهاجمة، وهو ما ينسجم عمليًا مع تحديد الخالدي ليلة 19–20 أيار.

ولا تحدد المصادر بصورة قاطعة ما إذا كان جميع سكان القرية قد فروا أثناء الهجوم أم أن قسمًا منهم طُرد بعد الاحتلال. لذلك فإن الصياغة الأدق هي أن الهجوم والاحتلال أديا إلى إخلاء صرفند العمار من سكانها الفلسطينيين خلال النكبة، مع بقاء كيفية خروج جميع السكان غير محسومة تفصيليًا في المصادر المعتمدة.

تسلسل الاحتلال والتهجير

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
محاولة تفجير في معسكر صرفند	2 كانون الثاني/يناير 1948	اكتشف العمال العرب في قاعدة الجيش البريطاني الضخمة في صرفند اثنتي عشرة عبوة موقوتة لتنفجر ظهرًا حين يصطفون لقبض أجورهم الأسبوعية، ولاحظت صحيفة «فلسطين» أن أحدًا من العمال اليهود لم يحضر إلى العمل ذلك اليوم، ما يوحي بأن الجماعات الصهيونية المسؤولة عن العملية كانت قد حذّرتهم.

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
غارة على القرية	15 نيسان/أبريل 1948	توغّلت مجموعة من لغّامي الهاغاناه «في عمق الأراضي العربية» بحسب «نيويورك تايمز» ونسفت بناءً من ثلاث طبقات. وذكرت السلطات البريطانية أن 16 شخصًا قُتلوا تحت أنقاضه و12 جُرحوا، بينما زعم المهاجمون أن البناء كان يستعمله مقاتلون تابعون للشيخ حسن سلامة وأن 39 شخصًا قُتلوا.
بداية العملية العسكرية	9 أيار/مايو 1948	أطلق لواء غفعاتي التابع للهاغاناه عملية براك لـ«تطهير» الأطراف الجنوبية والغربية لمنطقة سيطرته قبل 15 أيار/مايو، واستهدفت القرى الواقعة جنوبي الرملة وغربيها؛ وتدرج PalQuest صرفند العمار بين القرى المتضررة منها.
تسليم معسكر صرفند للقوات العربية	14 أيار/مايو 1948	مع انسحاب الجيش البريطاني سُمح للقوات العربية باستلام القاعدة العسكرية القريبة من القرية، التي كانت تشغل نحو 500 أكر، وقد سُلّمت إليها في 14 أيار/مايو بحسب «تاريخ حرب الاستقلال» كما ينقله الخالدي.
الاستيلاء على معسكر صرفند	نحو 19 أيار/مايو 1948 (بعد خمسة أيام من تسليمه)	طُردت القوة العربية «شبه النظامية الصغيرة» المرابطة في المعسكر بهجوم من شعبتين من الشمال والجنوب الشرقي، إذ كان دفاعها معدًّا لهجوم من مستعمرة ريشون لتسيون غربًا فقط، بحسب «تاريخ حرب الاستقلال» كما ينقله الخالدي.
الاحتلال النهائي	ليل 19–20 أيار/مايو 1948 على الأرجح	احتلت الكتيبة الثانية في لواء غفعاتي القرية على الأرجح، وهو ما يدرج احتلالها في سياق عملية براك بحسب الخالدي، والأرجح أن سكانها فرّوا أو طُردوا في الوقت نفسه.
إقامة مستعمرة على أراضي القرية	1949	أنشأت إسرائيل مستعمرة تسريفين، التي تضم معسكرًا للجيش، على أنقاض القرية.
إقامة مستعمرة على أراضي القرية	1954	أُنشئت مستعمرة نير تسفي على أراضي القرية.

المستعمرات المقامة على أراضي صرفند العمار

أُنشئت بعد النكبة مستعمرتان على أراضي صرفند العمار:

- تسريفين: أُنشئت سنة 1949 على أنقاض القرية، وتضم معسكرًا عسكريًا.
- نير تسفي: أُنشئت سنة 1954 على أراضي القرية.

أما تلمي منشيه، التي أُنشئت سنة 1953 بالقرب من موقع صرفند العمار، فهي ليست مقامة على أراضي القرية، بل على أراضي قرية أبو الفضل الفلسطينية المهجّرة.

موقع صرفند العمار بعد النكبة

بحسب الوصف الميداني الذي أورده وليد الخالدي، أصبح موقع صرفند العمار ضمن منطقة عسكرية مغلقة تضم معسكرًا كبيرًا وقاعدة جوية.

وسجل الخالدي بقاء ستة منازل من القرية، كان معظمها مهجورًا بينما شُغل منزل أو منزلان. كما بقي مبنى المدرسة مهجورًا، ونما الصبار في ساحته الأمامية، في حين استُخدمت الأراضي المحيطة في الزراعة.

ويجب التنبيه إلى أن هذا الوصف يعود إلى فترة العمل الميداني الذي أُنجز لإعداد كتاب «كي لا ننسى»، ولا يمثل بالضرورة مسحًا ميدانيًا محدثًا حتى الوقت الحاضر.

المصادر

- الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية PalQuest: صرفند العمار
- الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية PalQuest: عملية براك
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية: وليد الخالدي، «كي لا ننسى»
- فلسطين في الذاكرة: صرفند العمار – قضاء الرملة
- حكومة فلسطين: تعداد فلسطين لسنة 1922 – نسخة منشورة لدى الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني
- حكومة فلسطين: تعداد فلسطين لسنة 1931
- موسوعة القرى الفلسطينية: صرفند العمار – توثيق الهجمات والأحداث المحلية